



رمضان شهر البر والعطاء

دروس حوارية عامة

لقاء مع رابطة حملات الحج السورية

2021-03-30

مقدمة:

الدكتور حسن الجمل:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أخواني وأخواتي أينما كنتم، أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم على صفحة البث برابطة حملات الحج السورية، ونحن ننتظر فضيلة شيخنا العلامة الدكتور محمد راتب النابلسي، حفظه الله تعالى ورعا، ولكن لأمر تقني تأخر علينا، وأنا ب عنه فضيلة الدكتور بلال نور الدين مدير مكتبه ومدير أعماله العلمية ومدير مكتب الفتوى لمكتب الدكتور محمد راتب النابلسي، لعل الله يكرمنا أن ينضم إلينا بإذن عز وجل إن لم يكن هناك مانع تقني.

نرحب بفضيلة الدكتور بلال نور الدين على صفحة رابطة حملات الحج السورية، بالإجابة عن فضيلة شيخنا محمد راتب النابلسي، وجميعنا في انتظاره وانتظاركم حفظكم الله سبحانه وتعالى، ولعل الأمر التقني إن شاء الله يعالج بسرعة بإذن الله عز وجل، أهلاً وسهلاً بكم فضيلة الدكتور...

الدكتور بلال نور الدين:

حياكم الله، بارك الله بكم وأسعدكم، و نفع بكم في الدارين.

الدكتور حسن الجمل:

جزاكم الله عنا كل خير، وتشرفت رابطة حملات الحج السورية باللقاء مع فضيلتكم، وأنتم تحملون من العلم ما تحملون، وتحملون من الخلق والأدب والأعمال الدعوية على القنوات الفضائية وفي قنوات الفتوى لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه سبحانه وتعالى، أبدأ بين يدي فضيلتكم بكلمات لنمهّد لهذا الموضوع الذي تمّ اختياره من قبل مكتب فضيلة العلامة الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله سبحانه وتعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الذي غرس الرحمة في قلوب المؤمنين، وتفضل علينا بنعمة الإسلام والقرآن العظيم، وكتب علينا الصيام كما كتبه على الأولين السابقين، اللهم بارك لنا فيما بقي من شهر شعبان، وبلغنا رمضان وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في محكم التنزيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الذي تنزل عليه القرآن في شهر رمضان، فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ سَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)

[سورة البقرة]

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وأسوتنا وقدوتنا الذي زف لنا بشارات الخير والبر والعطاء في شهر رمضان، فقال عليه الصلاة والسلام:

{ أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه

ليلة خير من ألف شهر، من حرم خير فقد حرم }

[صحيح الألباني]

وأصلي وأسلم على من علمنا استقبال رمضان بدعائه، عندما قال:

{ اللهم أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله }

[ورد في الأثر]

ورضى الله عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد أيها الأخوة؛ القلوب تملؤها السكينة والوقار، والنفوس مطمئنة بعد طول انتظار، والعقول مستعدة لتنهل من العلم النافع الشريف، الذي يفيض به مولانا على قلوب من أحبه من عباده، عندما استقاموا وصدقوا في الطلب فعلمهم الله ما لم يكونوا يعلمون، قال سبحانه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)

[سورة النساء]

وقال جلَّ جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَرْتُمْ يَدِّينَ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَنْحَسِبْ مِنْهُ سِبًّا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى وَلَا يَأْتِ الشُّهَادُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَسُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاصِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ
بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَتَعَلَّمُوا اللَّهَ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ (282)

[سورة البقرة]

فضيلة الشيخ الدكتور بلال نور الدين المشرف العلمي لمكتب فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله، أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم مع إخوانكم في رابطة حملات الحج السورية من دعاة علم يقومون على خدمة صيوف الرحمن، وإخوانكم في لجنة الحج العليا وجميع حجاج بيت الله الحرام ومع أهلنا داخل سوريا وخارجها، كلهم شوق ولهفة لسماع الدرر والجواهر التي تمسح الجراح فتكون بلسماً شافياً لقلوب قد عصرها الألم والبعد والفرق، والظلم والعذاب، والجوع والفقر، ومزقتها القهر والتشرد والغربة والضيق، أكان ذلك في الشتات أم في المخيمات أم في الحصار داخل البيوت أو داخل البلاد أو خارجها؟ ومع ذلك فهي صابرة محتسبة لله تعالى، فما العمل وقد اقترب شهر رمضان، شهر جبر الخواطر؟ وفضيلتكم قد اخترتم لنا عنواناً رائعاً دقيقاً لبيان كلماته ومعانيه، التي تأتي في وقت نحن أشد ما نكون بحاجة إليه، وهو رمضان شهر البر والعطاء، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَنْ تَأْتُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أُمِينَ التَّيْتِ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضُلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُكُمْ أَنْ ضُوقُكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

[سورة آل عمران]

وقد نبه النبي عليه الصلاة والسلام لهذا المعنى، بقوله: ((الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصله))

وبهذا النداء فضيلة الشيخ أسس النبي عليه الصلاة والسلام تلك المشاريع العظيمة من الخير والبر والعطاء بين ذوي القربى الأقارب، ثم الأرحام، ثم الجوار، ثم الفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل والغارمين وغيرهم، بل وبين أبناء الأمة الإسلامية، بل ولغير المسلمين ممن نعيش معهم في بلد واحد، ففتح الدنيا برحمته فتح علم وهداية إنه الرحمة المهداة للعالمين.

وها نحن اليوم نحتاج لإعادة تلك المشاريع الخيرية التعاونية بالبر والعطاء التي تجمع ولا تفرق، وتساهم في بناء الأرواح والقلوب والنفوس، ونوحد كلمة الأمة من جديد بالبر والإحسان، لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، نرحب بفضيلتكم فضيلة الدكتور بلال نور الدين أجمل ترحيب، بين أهل وإخوانكم، كما نرحب بجميع الإخوة والأخوات المتابعين للبيت المباشر على صفحة رابطة حملات الحج السوري، ونحن نستمتع لمعاني هذا العنوان الرائع الدقيق، كلمة كلمة رمضان شهر البر والعطاء، نخلق معهم في روضة غناء من رياض الجنة، ليحير خاطر المستمعين، وكلنا أذان صاغية فتفضلوا مشكورين ماجورين مرحباً بكم، أهلاً وسهلاً ومرحباً بفضيلة الشيخ.

سعادة الإنسان لا تكون إلا إذا كانت حركته متوافقة مع هدفه:

الدكتور بلال نور الدين:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألوبته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين وبعد:

أشكر رابطة حملات الحج السورية هذه الدعوة الكريمة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن، وأسأل الله تعالى أن أكون عند حسن ظنهم، كما أشكر الدكتور حسن الجملة جزاه الله خيراً على حسن التقديم وحسن الظن، وأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء.

ثم أقول وبالله المستعان: إن شيخنا حفظه الله الدكتور راتب كان ينبغي أن يكون هو المحاضر، وأن نكون جميعاً في الاستماع لكلماته الطيبة، التي تتشوق لها آذان الملايين في العالم، إلا أن ظروف الخطر المنزلي والصحي الذي يجري الآن في الأردن- نسأل الله أن يرفع الوباء عن الجميع - حال دون الوصول إلى منزله لترتيبات البيت، وما زال الأخوة يحاولون فعزراً منكم جميعاً، ثم أجد نفسي في موقف محرج، ذلك أن المتابعين والمتفرقين ينتظرون كلاماً من فضيلة شبيخي وأستاذي الدكتور محمد راتب النابلسي، فمهما قلت الآن فاسأل الله أن يعينكم على سماع كلماتي، وأن يعينني على تقديم شيء في هذا اللقاء، لاسيما وأن الموجودين جميعاً أهل فضل، وأهل علم، وأهل خير، وأهل عمل، وربما يكون بينكم بل أجزم أن بينكم من هو خير مني علماً وخلقاً وأدباً وفضلاً، فأسأل الله أن يعينني على هذه المهمة، وأن يعينكم على سماع كلماتي في الدقائق التالية.

أيها الكرام؛ سأبدأ بمثال وشيخنا بارع في ضرب الأمثلة، سأبدأ بهذا المثال اللطيف، رجل سافر إلى باريس، وباريس مدينة كبيرة مترامية الأطراف، فيها المتنزهات والجامعات والمصانع والشركات، استيقظ صبيحة اليوم الأول لوصوله إلى فندق في باريس وسأل سؤالاً قال: إلى أين أذهب؟ سيسأله من في الفندق: لماذا أنت هنا؟ لأنك إن جئت إلى باريس سائحاً فستدلك على المتنزهات، وإن جئت تاجراً ستدلك على المصانع والشركات، وإن جئت طالباً ستدلك على المعاهد والجامعات، فأنت عندما تحدد هدفك في المحيء تحدد لك الحركة.



حركة الإنسان لا تصح إلا إذا عرف هدفه

هذا يدل على أن الإنسان لا تصح حركته إلا إذا عرف هدفه، وهذا المثل ينطبق على واقعنا في الحياة الدنيا، فإن حركتنا في الحياة لا يمكن أن تصح إلا إذا عرفنا الهدف الذي خلقنا من أجله.

مثال آخر، طالب في البكالوريا، عندنا في الشام اسمها البكالوريا، هنا في الأردن التوجيهي، أي الثالث الثانوي، أي الصف الأخير قبل الدخول إلى الجامعة، بحيث يحدّد مستقبل الطالب في هذا الاختبار النهائي، في الثالث الثانوي، وهو في الفرع العلمي، وعنده مادة الرياضيات، وهي أهم مادة في الفرع العلمي، والمادة يوم السبت، جاءه رفاقه يوم الجمعة، وأخذوه في نزهة إلى أجمل مكان في البلد، حيث العصافير تزقزق، والأرض معشبية، والماء دقاق رقيق، تجده يقضي كل نهاره في النزهة وهو في أمتع مكان ولكنه منقبض القلب، لماذا هذا الانقباض في قلبه مع أنه في مكان جميل؟ لأن هذه الحركة التي يقوم بها تتناقض مع هدفه، فهو عنده امتحان مصيري، وما زال أمامه دراسة ومراجعة وتمكين للمادة، ولكنه ترك هدفه واتجه إلى النزهة، فهو مكثب قلق، لكن لو أنه جلس يوم الجمعة في بيته وربما تكون الحرارة مرتفعة، وليس عنده في البيت مكيف، لكنه عكف على الكتاب وقرأ المقرر وراجع وحل المسائل ستجد أنه في أسعد حالاته رغم أنه جالس في غرفته المتواضعة، وليس في نزهة، لماذا؟ لأن حركته الآن تتوافق مع هدفه.

إذا لن يسعد الإنسان إلا إذا كانت حركته متوافقة مع هدفه، صار عندنا قاعدتان، لن تصح حركة الإنسان حتى يعرف هدفه، ولن يسعد حتى تأتي حركته متوافقة مع هدفه، لو طبقنا هاتين القاعدتين على حياتنا الدنيا، لماذا نحن في الدنيا؟ لنعبد الله، بالمفهوم الواسع لكلمة العبادة، من عبادات شعائرية فيها صلاة وصيام وزكاة وحج، ومن عبادات تعاملية فيها صدق ومحبة وإخاء، وعمل دؤوب ورفعة للمسلمين، ومد يد العون لمن يحتاج، وعمارة الأرض بالخير، هذا كله مفهوم العبادة، فنحن موجودون لتكون حركتنا في الحياة عبادة لخالقنا، فلن تصح حركتنا حتى نعرف هدفنا، ثم لن نسعد في حياتنا إلا إذا تصرفنا وفق هذا الهدف.

رمضان شهر البر والعطاء:



نحن في رمضان أسعد الناس

من هنا أقول لماذا نسعد في رمضان؟ وهذا سؤال كنت في كل رمضان أطرحه على الأخوة، لماذا نسعد في رمضان؟ نحن جميعاً في رمضان أسعد الناس، رغم أن في رمضان مشقة، مشقة الصيام في النهار والقيام في الليل، وقلة النوم من السحور إلى الفطور، ثم إلى صلاة المغرب ثم العشاء ثم التراويح، فنحن في عمل دائم يوجد مشقة على الجسم، فلماذا نحن أسعد الناس في شهر رمضان رغم المشقة؟ لأننا نتحرك وفق الهدف الذي خلقنا من أجله، تذكروا الطالب الذي أخبركم عن قصته قبل قليل، نحن في رمضان نتحرك وفق الهدف الذي وجدنا من أجله، نحن من أجل عبادة الله ونحن في رمضان نعبد الله فنسعد، خارج رمضان نحن مشغولون بأشياء لم نخلق من أجلها، هذا لا يعني أنني أنكر على الناس أن يعملوا، وأن يرتزقوا، وأن يكسبوا، لكن أنكر عليهم أن ينشغلوا عن العبادة، بما ضمن لهم من الرزق، لكن العمل مطلوب واتخاذ الأسباب مطلوب، وهذا لا خلاف فيه، لكنني أقصد أننا خارج رمضان منشغولون عن هدفنا في الحياة، فتجد الواحد منا منزعجاً، تجد الواحد منا كئيماً، لأنه لم يشغل نفسه بما خلق من أجله، بل انشغل بأشياء أخرى عن الهدف الذي خلق من أجله، لذلك نحن نسعد في رمضان.

أبدأ بالعنوان كلمة كلمة، شهر رمضان ثم تأتي إلي البر والعطاء، ثم إننا في رمضان سعداء بأننا نعمل وفق قاعدة عظيمة، مفادها إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين، مفادها هذا الحكيم الذي سئل: من أسعد الناس؟ فقال: من أسعد الناس.



السعادة تكون في العطاء

عندما تنطلق من ذاتك وتخرج من داخلك إلى الناس تسعد، صدقوني أيها الكرام السعادة لا تكون في الأخذ لكنها تكون في العطاء، السعادة لا تكون فيما تملكه لكن فيما تعطيه، انظروا إلى سيد الخلق وحبیب الحق محمد صلى الله عليه وسلم، يوم كان يوزع شاة وزع منها ما وزع ولم يبق إلا كنفها. تقول له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله لم يبق إلا كنفها. فيصح المفهومات بأبي هو وأمي، ويقول لها: يا عائشة بل بقيت كلها إلا كنفها.

لأن الذي قدمته يبقى، لكن الذي تأكله يفنى، هذا تصحيح للمفهومات. روي عن أحد السلف أنه أمسك بيده تفاحة، فقال: أكلتها ذهبت، أطعمتها بقيت. فأطعمها لفقير وأخذ أجرها. يقول ابن ادم: مالي مالي؟ وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت، أو لبست فألبيت، هذا فني وبلي وانتهى، قال: أو تصدقت فأبقيت.

فالصدقة هي التي تبقى وهي التي تدوم، أسعد الناس من أسعد الناس، إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين، لن تكون السعادة أيها الكرام إلا بالعطاء، الأنبياء الكرام عليهم صلوات ربي كلهم جاؤوا الدنيا فأعطوا ولم يأخذوا، والطغاة والأقوياء والبغاة جاؤوا الدنيا فأخذوا ولم يعطوا، أين ذكر الأنبياء الآن؟ ما ذكروا في مجلس إلا تعطرت المجالس بذكرهم، وصلى الناس عليهم وذكرهم باق إلى قيام الساعة، قال تعالى:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)

[سورة الشرح]

وأين ذكر الطغاة وقد أصبحوا في مزابل التاريخ؟ ما ذكروا في مجلس إلا وتعكر المجلس، وما ذكروا في ناس إلا وأثنى عليهم الناس شراً، والعياذ بالله. إذاً أيها الكرام؛ نحن عندما نتحدث عن السعادة في رمضان، نتحدث عن أمرين اثنين، الأول أننا مشغولون بما خلقنا من أجله وهو العبادة، والثاني أننا في بر وعطاء، والعطاء وحده سعادة.

الفرق بين اللذة والسعادة:



سعادة المؤمن هي سعادة الداخل

أيها الأحباب؛ غير المؤمن يظن نفسه في سعادة، وهو في لذة طارئة، اللذة متناقضة والسعادة متنامية، اللذة طارئة والسعادة مستمرة، جرب أيها الأخ الكريم لذائد الدنيا، كلنا جربنا لذائد الدنيا، أليس شراء سيارة على سبيل المثال لمن أكرمه الله بالمركبة لذة من اللذائذ؟ في اليوم الأول يسر الإنسان بسيارته، وربما خرج كل دقيقة - وهذه للطرفة - إلى شرفة منزله لينظر إلى سيارته ويطمئن على حالها، وبعد يوم ويومين وثلاثة هو كذلك يخشى عليها من أي خدش أو من جرح في طلاء السيارة، لكنه بعد أشهر لا ينتبه إليها، إلا أنها تقوده إلى عمله وانتهى الأمر، وتصيح السيارة من كل حدب وصوب فيها جروح وكسور ولا يلتفت إليها، لأنها لذة تناقصت وانتهت، أما السعادة؛ سعادة المؤمن التي يعيشها بالعطاء فهي سعادة الداخل التي تتنامى وتتنامى وتنهي بجنة عرضها السماوات والأرض، من هنا كان بعض السلف يدعو فيقول: اللهم اجعل نعم الدنيا متصلة بنعم الآخرة، وسعادة الدنيا متصلة بسعادة الآخرة.

لذاذ الدنيا إن كانت في مباح فهي متناقضة، أما إن كانت في محرم فهي متناقضة وبعبارة مدمرة، فالذي يجد لذته والعياذ بالله في النظر الحرام، وفي الفحش، وفي المال الحرام، تتناقض اللذائذ وتنتهي بكافة مدمرة، هذا ابن تيمية رحمه الله تعالى يوم كان في السجن كان يقول: ماذا يفعل أعدائي بي؟ بستاني في صديري - سعادتني من داخلي - إن أبعدونني فبعدي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، وإن حبسوني فحبسي خلوة.

الآن سيأتي رمضان علينا جميعاً وسينقضي رمضان، عندما ينقضي رمضان سينقضي على من صامه وعلى من لم يصمه، على من أعطى وعلى من أمسك، على من قام وعلى من لم يقم، قال ابن القيم رحمه الله: الطاعة تنقضي وتبقى حسراتها، والمعصية تنقضي وتبقى حسراتها، كلنا سيمضي علينا رمضان، كم رمضان مضى علينا؟ والله أيها الأخوة كلمح البصر، بالأمس كنا نستقبل رمضان ونقول: جاء رمضان الماضي، واليوم هناك أشخاص ودعونا ليسوا معنا في رمضان هذا العام وما أكثرهم، تحت أطباق الثرى، هذا حال الدنيا، هذه حقيقة، فنحن مقبلون على شهر هو فرصة نوعية للعطاء، للتضحية، للبر، للإحسان، للخير.

الإحسان قبل البيان:

أيها الأخوة الأحباب؛ أيها الكرام؛ النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث الصحيح، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، حتى ينسلخ أي حتى يمضي الشهر فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان، لأنه شهر النفحات، وشهر تضاعف فيه الحسنات.



الناس يتعلمون بعيونهم

أيها الكرام؛ الناس لا يتعلمون بأذانهم، الناس يتعلمون بعيونهم، لذلك قالوا: الإحسان قبل البيان، الإحسان قبل البيان، وقالوا: املاً قلب من تدعوه بإحسانك، حتى يفتح عقله لبيانك، الناس اليوم يريدون الموقف الطيب، العطاء، الخير، ولو بالكلمة، ولو بالابتسامة، تسمك في وجه أخيك صدقة، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق.

العطاء ليس مالا فقط أيها الكرام؛ حتى لا يقول فقير حال: ماذا أعطيت؟ يا أخي الدنيا كلها عطاء، والله ابتسامة منك بصدق في وجه إنسان وأنت لا تملك مالا ربما يكون أجرها عند الله أعظم ممن أعطى مالا فيه رياء، نسأل الله السلامة، فبابتسامة حانية، تربت على كتف يتيم، بمساعدة الناس، بحل مشكلاتهم، بالإجابة على تساؤلاتهم، ببر الوالدين في البيت، برعاية الأولاد، الطريق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، من منا لا يملك أن يعمل عملاً صالحاً؟ والله لا يوجد إنسان وفي الأرض لا يمكن أن يعمل عملاً صالحاً، العمل الصالح أيها الكرام؛ قيل هو صالح لأنه يصلح للعرض على الله، ولا يصلح العمل للعرض على الله إلا إن كان خالصاً وصواباً، الخالص ما ابتغي به وجه الله، والصواب ما وافق الكتاب والسنة، هذا مقياس العمل الصالح؛ والعمل الصالح برفعه، مقياس أهل الدنيا كثيرة، الناس اليوم يعظمون أهل المال، يعظمون أهل القوة، أهل المناصب، لكن الإسلام لم يجعل للتمايز بين البشر إلا صفتين اثنتين، العلم والعمل، فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

[سورة المجادلة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ بُرِيدُ الْعِرَّةِ فَلِلَّهِ الْعِرَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ
أُولَئِكَ هُوَ يُنَوِّرُ (10)

[سورة فاطر]

فلن ترتفع عند الله إلا بعلمك وعملك، والعلم بلا عمل شجرة بلا ثمر، والعمل الصالح في رمضان أعظم أجراً، وأعظم ثموية عند الله، لأنك تتعرض لنفحات الله في شهر من مواسم الخيرات وفي الحديث:

{ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلُمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَحْسَى الْقَاقَةَ }

[أخرجه مسلم]

ما الذي دفعه إلى الإسلام ؟ دفعه الموقف البطولي العظيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، دفعه العطاء، الإحسان، الإحسان قبل البيان أيها الكرام.

لين الكلام عطاء وإحسان وبر:

أيها الأخوة الأحباب؛ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقول:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْقًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَفْشَى السَّلَامَ وَصَلَى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامَ }

[أخرجه ابن حبان]



لين الكلام برّ وإحسان

اليوم يتباهون أحياناً بإنجازات بشرية قد تقترب من بعيد من هذه الغرف بأنها شفاقة، انظروا إلى وصف النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لمن هي يا رسول الله ؟ قال: لمن ألان الكلام ؟ لين الكلام عطاء، لين الكلام إحسان، لين الكلام بر، لو لم تستطع أن تعطي ألن الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائماً والناس نيام.

أيها الأخوة الأحباب؛ ما أعظم العطاء عندما يكون معه ابتسامه صادقة ! ما أعظم العطاء عندما يكون معه كلام طيب !

أيها الأحباب الكرام؛ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لعائشة:

{ يَا عَائِشَةُ، اسْتَبْرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِبَيْتٍ تَمْرَةٍ }

[أخرجه أحمد]

صانع المعروف تقي مصارع السوء، يقول صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المتفق عليه:

{ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَبُكَلَّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نُزْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَسْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ،

وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِبَيْتٍ تَمْرَةٍ }

التعامل الصحيح مع القرآن الكريم:

كما قدم أخي الدكتور جزاه الله خيراً بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

[سورة آل عمران]

ولا يخفى عليكم قصة هذه الآية الكريمة كما في الحديث الذي أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال:

{ كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل - عنده نخل كثير - وكان أحب أمواله إليه بيرحاء - نخل بيرحاء اسم مكان - وكانت مستقبلة المسجد - مقابل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في عرفنا الحديث موقع استراتيجي، اليوم إذا أردت أن تأخذ متراً مقابل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كم سعره اليوم ؟ فكانت في مستقبلة المسجد - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ بخ - وهذه كلمة تقال للتعظيم وللتحقير معاً، فهي من ألفاظ التضاد، وهنا أراد بها النبي صلى الله عليه وسلم بيان عظم ما فعله - أبو طلحة قال: ذاك مال رابع، ذاك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين، فالأقربون أولى بالمعروف، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنين عمه }

أيها الكرام؛ هذا أبو طلحة لما سمع: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، كيف تعامل مع القرآن؟ نحن غداً مقبلون على شهر القرآن، كيف يتعامل الناس اليوم مع كتاب الله؟ البعض يتعامل معه بشعور التبرك، والله إن القرآن لبركة، والله إننا لنستشفي به، ولنتبرك به، لكن هل يكفي أن نتعامل مع القرآن بشعور التبرك؟ لا يكفي، لأن الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)

[سورة ص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)

[سورة محمد]



التعامل مع القرآن بشعور التلقي للتنفيذ الفوري

البعض يتعامل مع القرآن بشعور القراءة لنيل الثواب، وهذا حسن، بل كلنا نقرأ القرآن نرجو ثواب الله، بكل حرف من أحرفه لكن هل هذا يكفي؟ لا يكفي، الصحابة الكرام - كما كان يقول صاحب الظلال - كانوا يتلقون القرآن بشعور التلقي للتنفيذ الفوري، عندما يسمعون قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا، من الذين آمنوا؟ الذين آمنوا، أنا ماذا تريد مني يا رب حتى أفعل؟ هذا اسمه: شعور التلقي للتنفيذ، هذا الذي تعامل به أبو طلحة، لن نتألوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، نهض من فوره، هذا قرآن يخاطبني، كيف أنال البر؟ أنفق مما أحب، أي أحب المال إليّ؟ أخذها على أحسن محمل، وعلى أعظم محمل، إنه بيرحاء، إذاً اجعله يا رسول الله في الصدقات، هذا اسمه شعور التلقي للتنفيذ الفوري. إذاً أيها الكرام؛ التعامل مع القرآن بشعور التلقي للتنفيذ الفوري، أسمع لأنفذ، هذا ينبغي أن يكون حالنا مع القرآن في شهر رمضان، في شهر البر والعطاء والإحسان.

أخلاق الأنبياء:

أيها الأحاب الكرام؛ أيها الأخوة الأحاب؛ الذين أتشرف بمجالستهم هذا اليوم، هذه المجالسة الافتراضية، التي أجتنا إليها لكنها خير من تركها، ونسأل الله أن نجتمع معاً بمكان واحد وفي دمشق إن شاء الله جميعاً.

رمضان شهر البر والعطاء، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم، والأنبياء عاشوا للناس، جاء الطغاة والأقوياء فأخذوا ولم يعطوا، وملكوا الرقاب بقوتهم، وعاش الناس لهم، ولا يمدحون إلا في حضرتهم بينما الأنبياء يمدحون في غيبتهم وفي حضرتهم، والناس جميعاً تبع لقوي أو غني. فإذا أردت أن تكون من أتباع الأنبياء فعليك أن تعطي وأن تبني حياتك على العطاء، عليك أن تعيش للناس لا أن تنتظر من الناس أن يعيشوا لك، وأن تملك القلوب بالحب لا أن تملك الرقاب بالقوة، وأن يتكلم الناس عليك، وعلى حسنك، وعلى أخلاقك في غيابك وفي حضورك، لا في وجهك فقط، هذه أخلاق الأنبياء الكرام الذين جاؤوا الدنيا وخرجوا منها بهذا الذكر العطر.

التكامل بين الليل والنهار كالتكامل بين الذكر والأنثى:

الآن الله تعالى يقول في قرآنه الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1)

[سورة الليل]

هذا قسم والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه ليلفت نظرنا إلى عظمة هذه الآية..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (3)

[سورة الليل]

التكامل بين الليل والنهار يشبه التكامل بين الذكر والأنثى، لا كما يدعي أصحاب حقوق المرأة اليوم، والذين يدعون أنهم يريدون حقوقها، وهم يريدون حرية الوصول إليها، الليل والنهار متكاملان، كل يؤدي وظيفته، ولا يغني واحد عن الآخر، فهما ليسا متشابهين ولكنهما متكاملان، وما خلق الذكر والأنثى، إشارة إلى التكامل بين الذكر والأنثى.

البشر صنفان لا ثالث لهما:



إن سعيكم لشتى

الآن: إن سعيكم لشتى جواب القسم، اليوم عندنا في الأرض سبعة مليارات إنسان فرصاً، السعي مختلف، كل صباح يخرج الناس، كل الناس يغدو، كل إنسان يخرج لهدف منذ الصباح، إن سعيكم لشتى، الآن ربنا عز وجل هذا السعي المتشتت المتفرق سيجمعه في حقلين اثنين، فأنت ضع نفسك في أحد هذين الحقلين ولا ثالث لهما، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ
لِلْعُسْرَى (10)

[سورة الليل]

كل إنسان موجود بأحد الحقلين ما معنى ذلك؟ أما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، ما الحسنى؟ الحسنى هي الجنة كما قال أهل العلم، للذين أحسنوا الحسنى؛ الجنة وزيادة النظر إلى وجه الله الكريم..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6)

[سورة الليل]

صدق أنه مخلوق للجنة، وهذه الدنيا ممر لا مقر، وهذه الدنيا منزل ترح لا منزل فرح، وهذه الدنيا ممر للوصول إلى رضوان الله بالسلام، فصدق بالحسنى، فلما صدق بالحسنى اتقى أن يعصي الله، لأنه لا يمكن لإنسان أن يؤمن باللجنة ويسعى للجنة ثم يعصي الله، إلا زلة قدم فيتوب بعدها، وكل بني آدم خطاء، صدق أنه مخلوق للجنة فاتقى أن يعصي الله، وبني حياته على العطاء، وهنا جاء العطاء مطلقاً كما قلت لكم سابقاً ليس العطاء مآلاً فحسب، أعطى من علمه، من خبرته، من ماله، من سمعته، من جاهه، من ابتسامته، من صدقته، من كل شيء، فهذا الصنف الأول، ما جواب الله العظيم على فعله؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)

[سورة الليل]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9)

[سورة الليل]

لما كذب بالجنة استغنى عن طاعة الله، لماذا أطيع الله؟ هذا لسان حاله لأنه لا يؤمن بالجنة، فيخل، هناك أعطى، وهنا بخل، أمسك ماله، لا يريد حتى مثلاً أن يتدخل بجاهه لإصلاح بين اثنين، يقول لك: لا يوجد مال لن أتدخل، اليوم علماؤنا الأجلاء تجد الواحد منهم يقضي نهاره لحل مشكلات الناس، ولا يتقاضى قرشاً واحداً، لأنه مصدق بالجنة، يرجو أجره عند ملك الملوك، هذا العطاء، لماذا يعطي الإنسان بلا مقابل؟ صدقوني لا يوجد إنسان يعطي بلا مقابل حتى المؤمن لا يعطي بدون مقابل، لأنه يرجو المقابل عند الملك جلّ جلاله.

شاب في المدرسة والده ملك من ملوك الأرض، كلف أستاذاً أن يدرس ابنه إحدى المواد التي قصر بها، يأتي المدرس كل يوم إلى القصر ويدرسه المادة، بعد أول درس، ثاني درس، ثالث درس، انتبه الأستاذ أن الملك لا يعطيه أجره، فقال للطالب: أخبر أباك أريد مالا، فقال: كم تريد على الدرس؟ قال: كل درس بالف، أعطاه أكبر رقم ممكن، فقالوا له: حسناً كم درسا أعطيت؟ عشرة؟ هذه عشرة آلاف، لكنه استعجل لأن الملك في باله أن يعطيه بيتاً بعد أن ينتهي العام الدراسي، لكنه استعجل فأخذ عشرة آلاف، هذا جهل، المؤمن يحب الخير، ويجب أن يأخذ الخير لكن يحبه من ملك الملوك، لذلك إذا أعطى لا ينتظر من الناس، وإنما ينتظر من رب الناس، لأنه يعلم أن ما عند الله خير وأبقى، خير وأبقى، خير في نوعيته وأبقى في ديمومته، وللآخرة خير لك من الأولى.

علة وجود الإنسان:

إذا أيها الأخوة الأحباب؛ نحن في الدنيا يجب أن نوطن أنفسنا على العطاء، جئنا إلى الدنيا لنعمل عملاً صالحاً، والدليل أن الإنسان حينما يحضر أجله إذا كان بعيداً عن الله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

[سورة المؤمنون]



العمل الصالح علة وجود الإنسان

ولا يقول: ربي أرجعوني لعلني أبنى بناء، ولا لعلني أحصل تجارة، وإنما يرجو أن يعود إلى الدنيا ليعمل عملاً صالحاً يلقي به الله، وكان بعض السلف يقولون: إن الإنسان في القبر لا يندم إلا على ساعة قضاها في غير عمل صالح أو في غير ذكر الله تعالى، فنسأل الله تعالى أن يلهمنا أن نستقبل هذا الشهر بنفسية العطاء والبر والإحسان والخير والصبر، والإقبال على القرآن، وعلى القيام، وعلى الصيام، اللهم بلغنا رمضان وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين، اللهم اجعل أسعد أيامنا يوم نلتقك وأنت راض عنا، وارزقنا حسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلتقك، وأشكر مرة ثانية لرابطة حملات الحج السوري هذه المبادرة الطيبة وهذه الاستضافة الكريمة، كما أستمحكم عذراً مرة ثانية لتعذر تواصل شيخنا حفظه الله تعالى معنا في هذا اللقاء، وأرجو أن تعذروني لما قدمت وعسى أن يكون فيه تناصح وبر وتذكير فكلنا نذكر بعضاً إن شاء الله، جزاكم الله خيراً، وأحسن إليكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور حسن الجمل:

جزاكم الله عنا كل خير فضيلة الدكتور بلال نور الدين، طبعاً كنا مهينين لبعض المحاور، أو بعض الأسئلة التي تهتم المسلمين في كل مكان، وتهتم أهلنا في سوريا وفي خارج سوريا، لأن كلام أهل العلم دائماً بلسم ودواء وشفاء وجبر للخواطر، فضيلة الدكتور حفظك الله سبحانه وتعالى، أرجو أن يتسع صدركم لبعض هذه الأسئلة، وهذه الأسئلة أرجو من الله أن تكون نافعة ومفيدة لنا ولمتابعينا والسلامين.

أولاً: ما أهمية اختيار هذا الموضوع ؟ اختيار الموضوع له أهمية كبيرة في التأثير على المتابعين والمستمعين، فما أهمية اختيار هذا الموضوع ؟ في زمن الشدائد والأزمات وبالأخص قبل شهر رمضان ما أهمية اختيار هذا الموضوع ؟ رمضان شهر البر والعطاء، السؤال له شطر آخر: ما هو الفرق بين البر وبين العطاء ؟ وما هي صلة الوصل بين البر والعطاء من خلال المدلولات اللغوية والإيمانية والشرعية والأخلاقية والاجتماعية؟ طبعاً سؤال كبير له مناح كثيرة، أسف على الإطالة في السؤال.

التكافل في زمن الشدائد أعظم أجراً عند الله وأعظم بركة: الدكتور بلال نور الدين:

أنا سأختصر قدر الإمكان حتى نأخذ أكثر قدر ممكن من المحاور الجميلة واللطيفة، أولاً: أهمية الموضوع في هذا الوقت قبل رمضان، وفي هذا الزمن زمن الشدائد، لأن التكافل أخي دكتور حسن في زمن الشدائد أعظم أجراً عند الله، وأعظم بركة، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ الْأَشْعَرِيَّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَرْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاجِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِتَاءٍ وَاجِدٍ،
يَالسَّوِيَّةِ، فَهَمَّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ }

[متفق عليه]

أرملوا أي التصقوا بالرمل من شدة الجوع، ومع ذلك ما توقفوا عن التكافل، واحد وضع مئة دينار، وآخر وضع ديناراً، والثالث لم يضع شيئاً، كل واحد وضع كل شيء معه في جيبه، تعاهدوا على ذلك وضعوه في إناء واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فيقول صلى الله عليه وسلم: فأنا منهم وهم مني، الله أكبر على هذه الشهادة المحمدية، فهم مني وأنا منهم، وهم قوم الأشعريين، وهم قوم أبي موسى الأشعري، من شدة التكافل في العطاء، من أخلاق المؤمن في الأزمات، أن لا يمسك الناس عموماً، في زمن الخير ربما تعطي، وبالضرورة تمسك، لا يا أخي الناس بحاجة العطاء في الأزمات أكثر، فنحن في شدة، لكن خزائن الله ملأى، فالمؤمن لا يتوقف عن العطاء، فهذا الموضوع مهم جداً في زمن الشدائد لأنه من باب التكافل، هذا الأمر الأول.

اصطفاء شهر رمضان لأن للعطاء فيه أجراً مضاعفاً:

ثم إنه يأتي قبل رمضان لأن له خواصاً في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، الله تعالى في الأزمنة خلق الشهور كلها، ثم اصطفى منها شهر رمضان، واصطفى من شهر رمضان العشر الأواخر، واصطفى من الأواخر ليلة القدر، فجعل هذا الشهر اصطفاء، وأنت عندما تعطي في شهر رمضان - والنبي كان أجود ما يكون في رمضان - عندها يكون للعطاء أجر مضاعف عند الله.

صلة الوصل بين البر والعطاء:



البر كلمة مثلثة

البر كلمة مثلثة، البر والبُر والتبر، فهي من المثلثات كما يقول أهل اللغة، فالبر هو العطاء، مطلق العطاء، أو هو مطلق الخير، والبُر هو القمح، والتبر هي اليابسة، البر كما قال العلماء في قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

[سورة آل عمران]

قالوا: إبير صلاح الدنيا، والتقوى لصلاح الآخرة، إبير لصلاح الدنيا والتقوى لصلاح الآخرة، فالإبير والعطاء لا أقول مترادفان مئة بالمئة، لكن الإبير مصطلح شرعي أكثر، يأتي للدلالة على كل ما يصلح دنيا الإنسان، فكل عمل يمكن أن يوصف أنه إبير، أما العطاء فهو شامل بكل ما يخرج به الإنسان من نفسه إلى الآخرين، فالإبتسام عطاء، الكلمة الطيبة الحانية عطاء، المال عطاء، الإبير هو مصطلح شرعي أعم من العطاء، فالعطاء من الإبير، وهذا من باب عطف الخاص على العام، الإبير العام ثم عطفنا عليه العطاء، بارك الله بكم.

الدكتور حسن الجمل:

جزاكم الله عنا كل خير فضيلة الدكتور على هذا التعريف الرائع.

سيدي الدكتور بلال حفظكم الله سبحانه وتعالى، كان سابقاً في سورية عندما كان الناس في الطيبة والتآلف والتكاتف والمحبة، وكان أهل الغوطة، وأهل القرى، الدمشقيون، وأهل حمص، وأهل حماة، وباقي مدن سورية التي كان التكاتف والتآلف فيها والإخاء والمحبة، والكبير مسموع الكلمة، والعلماء يسعى الناس إليهم، والأيتام والأرامل كانوا مكفولين من أهل البلد كلها، القرية كلها تعرف بيت اليتيم فتذهب لعطائه وإكرامه، لذلك أنا عندما وعيت على هذه الدنيا كنت أسمع هناك عن مشروع الفرنك، ثم مشروع الليرة ثم أصبح مشروع العشر ليرات، هذا المشروع كانوا يجمعونه من كامل أهل البلد لإيجاد مشاريع خيرية من أجل الفقراء والمساكين، أليس قوله سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114)

[سورة النساء]

ودليل على العودة لإيجاد هذه المشاريع التي أوجدها النبي عليه الصلاة والسلام، التي تحدثت عنها مثل قوم الأشعرين وغيرهم، فمنهم من دفع درهماً والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "رب درهم سبق مائة ألف درهم".

ألسنا اليوم بأشد الحاجة الماسة لتوحيد عمل الجمعيات الخيرية، المنظمات، المجتمع المدني، العمل الجماعي، والتعاون فيما بينهم، و ألا تكون هناك جمعية تملأ خزائنها وجمعية ليس عندها ما تنفق على من سجلت أسماءهم؟ ما رأيكم في هذا فضيلة الشيخ؟

التعاون فرض وأمر إلهي:

الدكتور بلال نور الدين:

أحسن الله إليكم، الآية القرآنية واضحة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

[سورة آل عمران]

فالتعاون فرض وأمر إلهي، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (38)

[سورة الشورى]



نحن اليوم بحاجة إلى أن نوحّد الجهود

كل الأدلة القرآنية بل إنك لا تجد في كتاب الله ضمير الأنا، الأنا مختفية في كتاب الله، لكنها حاضرة في واقع المسلمين للأسف الشديد، لا تجد الله تعالى يقول كتابه: يا من آمن، وإنما يقول: يا أيها الذين آمنوا، لا يقول: سارع، وإنما يقول: وسارعوا، وسابقوا، ففروا إلى الله، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون، قرأنا كله وأو الجماعة، وواقعنا أنا، فينبغي أن نتقل من واقع الأنا إلى حقيقة أو الجماعة، ما تفضلت به أثني عليه، وأؤكد عليه، وأرجو أن يلقي أذاناً صاغية عند أهل الشأن، نحن اليوم بحاجة إلى أن نوحّد الجهود، والبركة في المجموع في أن يكون لدينا صندوق مركزي، في أن يكون لنا تشاور، في أن يكون لكل جمعية اتصال مع الجمعيات الأخرى، أهل الباطل على باطلهم يتعاونون وينشؤون قواعد بيانات مشتركة، وتجد الواحد منهم يعرف كل شيء - نسال الله السلامة - من الفروع الأخرى، وهم على باطل وعلى ظلم، فنحن أولى بالتعاون، ونحن أولى بالتعاقد والتكاتف، وبأن تجتمع كلمتنا، لأن ديننا يأمرنا بذلك، ولأن ربنا يأمرنا بذلك، ولأن نبينا صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك، فلماذا التفرق؟ ما دام الهدف واحداً؟ ونحن نمشي في طريق واحد فلا بد أن نلتقي، فإن لم نلتق فيبدو أن أحداً منا أو كلينا لا نسير على الطريق، فيجب أن نراجع حساباتنا، اللقاء حتمي لأن هدفنا واحد ونسعى في طريق واحد، إذاً ينبغي أن نلتقي على الطريق الموصل إلى هدف واحد، فأنا أشدد على ما تفضلت به وأؤيده وأسعى له بكل جهدي، في أن نتعاون، وفي أن نتكاتف، وفي أن نسعى إلى عمل جماعي مشترك، فالعرب لم يتفوق علينا إلا بمفهوم فريق العمل، بحيث يكون الجميع متكاتفين، متعاونين، متضامنين، ونحن أولى بهذا التكاتف والتعاون والتضامن.

الدكتور حسن الجمل:

بارك الله بكم على هذا التفاء، وكنت أود أن أوصول هذا المشروع لفضيلة شيخنا الذي نحن بانتظاره، ولعل الأمر خير بإذن الله فاللقاءات مقدرة، عطاء الله عطاء، فنحن نؤمن بالقدر ونؤمن بما قدر الله تعالى فلا نجزن ولا نتألم، بل نرضى بما رضي الله عز وجل لنا، قد يكون نصيبنا اليوم من النفع والفائدة من قلبكم الطاهر، وإن شاء الله سيأتي الخير والعطاء من قلب فضيلة شيخنا الذي أحبه الملايين، لإخلاصه، ولعطائه، ولخدمته من نعومة أظفاره، وما زال يعطي، بارك الله بحياته فضيلة الشيخ المبارك.

البر كما عرفتم البر هو الإحسان مع الصلة، هناك بر مع الإحسان للأيتام، هناك للأرامل، هناك للجيران، هناك للأبوين، هناك للمعلم، هناك للمسلم، هناك لجارك غير المسلم، والبر والعطاء يختلف بنوعه وكمه، فمثلاً النبي عليه الصلاة والسلام عندما يقول:

{ من نفس مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب القيامة }

[سنن أبي داود]

أليس هذا عطاء أم بر؟ ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، العطاء يختلف نوعاً وكيفاً بالوقت والزمان والمكان، وفي رمضان يكون البر والعطاء أشد أجراً وتواباً عند الله سبحانه وتعالى.

هل للبر والعطاء أثر نفسي في راحة نفس المؤمن وطمأنينة قلبه كما جاء أحدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله لقد قسا قلبي وجفت دمعتي؟ فماذا كان أثر كلام النبوة عليه؟ تفضلوا فضيلتكم.

السكينة عطاء إلهي لا يقدر بثمن:

الدكتور بلال نور الدين:

جزاكم الله خيراً، إن ما يجده المؤمن من سكينة تنزل على قلبه من خلال البر والعطاء لا أبالغ إن قلت لو وزعت على أهل بلد لكفاهم، السكينة عطاء إلهي، الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ (26)

[سورة التوبة]



السكينة عطاء إلهي

فعندما تنزل السكينة على نفس المؤمن، عندما يجد أثر بره وعطائه في الناس، يجد هذا الذي ستره كيف أصبح حاله، وهذا الذي نفس عنه كربته كيف أصبح حاله، وهذا الذي تصدق عليه فأطعم أولاده كيف أصبح حاله، والله ينتزل من السكينة في قلبه ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم، لذلك أخي الحبيب السكينة عطاء إلهي لا يعطيه الله تعالى إلا لمن يحب من خلقه، إن الله تعالى يعطي المال - كما قال أهل العلم - لمن يحب ولمن لا يحب، فقد أعطى المال لعثمان بن عفان ولعبد الرحمن بن عوف، وهو بحبهما، وأعطى المال لقارون وهو لا يحبه، وإن الله تعالى يعطي القوة لمن يحب ولمن لا يحب، فأعطى القوة لذي القرنين وهو يحبه، وأعطاه لفرعون وهو لا يحبه، لكنه لا يعطي السكينة بقدر إلا لأصفيائه، وتمن هذه السكينة أن تسعد الآخرين، وأن تعطي مما أعطاك الله، فبملا الله قلبك سكينة تعوضك أضعافاً مضاعفة عما أعطيت، عطاء الله تعالى للمؤمن لا يعقل أن يكون أنياً أو مؤقتاً، هو عطاء دائم مستمر، لأن الكريم إذا أعطى أدهش، فلذلك من أعطى لله فلينتظر العطاء من الله، صحيح أنه يعطيه أضعافاً مضاعفة بالمال، يعوض عليه، بعد حين القرش بعشرة، لكن أعظم عطاء من الله هو هذا الذي تفضلت به وهو السكينة التي يشعر بها المؤمن عند عطائه، لذلك قال تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

[سورة التوبة]

ما معنى تطهيرهم وتزكيتهم؟ قال أهل العلم: المال يطهر من تعلق حق الآخرين به، فجزء من المال ليس لك أصلاً، عندما تعطيه يطهر المال، وقالوا: نفس الغني تطهر بالعطاء، ونفس الفقير تطهر من الحقد، وتزكيتهم، الزكاة النماء، فنفس الفقير تزكو بالإففاق لأنه يشعر أن المجتمع لم يتحلل عنه، وأنه يعطيه، والمال ينمو بحسابات عند الله ليست على الآلة الحاسبة، إنما بعطاء الله عز وجل، ونفس الغني تنمو أيضاً، تزكو النفس، لأنه يرى أثر عطائه في المجتمع، فيسعد ويدخل على قلبه من السكينة والأمن والطمأنينة ما يجعله أسعد الناس، ولو كان في ظروف ما يعيشها الناس جميعاً لكن نفسه تشعر بالطمأنينة والسكينة عندما يعطي ويجد أثر عطائه في الناس.

الدكتور حسن الجمل:

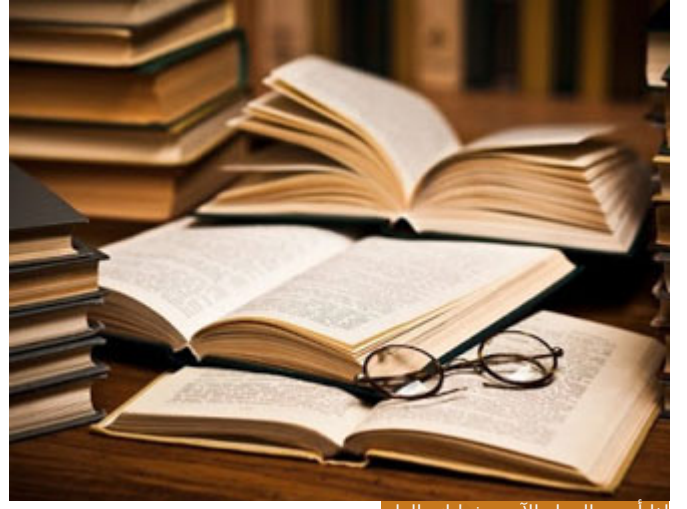
بارك الله بكم فضيلة الدكتور وحفظكم الله، وأذكر من بعض ما عندكم من علم ورواية وعطاء، حفظكم الله سبحانه وتعالى، إن العطاء وإن مد يد العون إلى الناس يلين القلوب، كما ذكر ذلك الذي ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو حاله من قسوة قلبه، وجفاف دمعته، فقال له عليه الصلاة والسلام: " امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين يلين قلبك وتذرف دمعتك "

ما أحوجتنا لهذا البيان النبوي العظيم ! وما أحوجتنا لقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه لنا سيدنا عمر رضي الله عنه مرفوعاً عندما سئل عن أفضل الأعمال فقال : إدخال السرور على المؤمن، تقضي عنه ديناً، تقضي له حاجة، تنفس له كربة.

قضى الله حاجتكم فضيلة الدكتور بلال نور الدين، وقضى الله حاجة شيخنا العلامة الدكتور محمد راتب النابلسي، وأرجو من الله عز وجل أن يجمعنا به في القريب العاجل، بحلقة تشفي صدور أخواننا وأحبابنا الذين كانوا في انتظاره، وبأشد الشوق لسماع كلامه، ولكن كلامكم موصول بكلام فضيلة شيخنا العلامة الدكتور محمد راتب النابلسي، جزاكم الله عنا كل خير، ونرجو منكم كلمة بسيطة توجهونها في ختام هذا اللقاء، بعد الشكر لكم.

طلب العلم فريضة على كل مسلم:

الدكتور بلال نور الدين:



إذا أردت الدنيا والآخرة فعليك بالعلم

أنا أشكر لكم حسن استماعكم، وحسن إنصاتكم، وحسن بيانكم فيما لا أحسني عليه، لكن أسأل الله أن يعفو عني، وأقول لكل من يتابعنا في هذا البث المباشر المبارك: أسأل الله تعالى أن يبلغكم رمضان على خير وسلام وأمن وطمأنينة، وأقول لهم ما كنت أسمعه دائماً من فضيلة شيخنا جزاه الله عنا خير الجزاء، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، وبطل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، إن طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

هذه ساعة مباركة قضيناها في طلب العلم، إن شاء الله تشهد لنا يوم القيامة على أنها ساعة طيبة قضيناها بعيداً عن لذائذ الدنيا، ولكن في سعادة وأنس وسكينة الآخرة، فهي ساعة من ساعات الله، ويوم من أيام الله، وذكرهم بأيام الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خاتمة وتوديع:

الدكتور حسن الجمل:

قبل أن نودعكم فضيلة الدكتور حفظكم الله، نريد منكم أن تبلغوا تحيات وسلام إخوانكم في الرابطة، ولجنة الحج العليا، وجميع المتابعين، وجميع المتشوقين لسماع فضيلة دكتورنا محمد راتب النابلسي، وأن تعدونا أن يكون لنا - تتوسطون لنا عند الشيخ - لقاء قريب معه نعوض هذه الحلقة، لأن الأخوة كانوا في شوق كبير، حقيقة الاتصالات التي كانت بيننا وبين إخواننا وهم في شوق لسماع شيخنا هذا حب من الله وعطاء من الله لعباده الذين أحبه وأحبه، يعطي دائماً شيخنا من وقته، ومن علمه، ومن صحته لجميع المسلمين، جزاكم الله عنا كل خير، بلغوا تحياتنا لشيخنا ولأحبابه وأحبابكم ولجميع إخواننا في الأردن المبارك، ولجميع المستمعين.

في نهاية هذا اللقاء لا يسعني إلا أن أشكر جميع المتابعين والمتابعات والمشاهدين والمشاهدات نلناكم على خير دائماً في طاعة الله، اللهم بارك لنا فيما بقي من شهر شعبان، وبلغنا رمضان وأنت راض عنا، وفرحنا وعن بلادنا وعن سوريا وأهلها داخل سوريا وخارجها، اللهم فرح عنهم وردنا إلى بلادنا رداً جميلاً، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وارزقنا نعيم الدنيا بطاعتك، والنظر إلى وجهك الكريم يوم القيامة، شكراً لكم جميعاً إخواني وشكراً لكم فضيلة الدكتور بلال نور الدين حفظكم الله على هذا اللقاء المبارك، وإن شاء الله سيكون لنا لقاءات متوالية بإذن الله عز وجل، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الدكتور بلال نور الدين:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حياكم الله، بارك الله فيكم، ونفع بكم، وأعلى قدركم.

والحمد لله رب العالمين